

دخلت كينيا أسبوعها الثالث في عملياتها العسكرية الكبرى داخل أراضي جارتها الصومال، وأسّمت العملية "حماية الأمة"، وهي أكبر عملية عسكرية منذ استقلال كينيا عام 1963. فما يقرب من ألف وستمئة جندي اجتاحوا مناطق جنوب الصومال التي يسيطر عليها جماعة الشباب الإسلامية، كما تحركت القوات الجوية الكينية أيضاً، وشتت هجمات قصف لقواعد المقاتلين التابعين لحركة الشباب، بل واستخدم المتحدث باسم الجيش الكيني حسابه على تويتر لتحذير السكان الذين يعيشون إلى جوار معسكرات الشباب في عشر بلدات بأنهم يجب أن يتخذوا حماية من الهجمات الوشيكة.

س: لماذا كان الغزو الكيني للأراضي الصومالية؟

ج: لقد تضررت كينيا كثيراً بسبب حالة عدم الاستقرار المستمرة في جارتها الصومال، وقد تخطت تلك الحالة من عدم الاستقرار حدود الصومال لتصل إلى الدول المجاورة، والمثال على عدم الاستقرار هذا كان معسكر داداب للاجئين في شمال شرق كينيا، والذي استقبل الصوماليين الذين هربوا من المأساة الإنسانية في بلاده، وقد وصلت الأرقام في هذا المعسكر إلى أكثر من 450 ألف لاجئ بسبب ظروف المجاعة في أجزاء من جنوب الصومال، ومما فاقم الأوضاع هناك هو اختطاف اثنين من عمال الإغاثة الأسبان من ذلك المعسكر وتم نقلهم إلى الصومال، مما يعني أن عمليات الإغاثة سوف تتضرر بصورة كبيرة، ولكن كانت القشة التي قصمت ظهر البعير هي الهجمات المستمرة على المنتجعات الساحلية التي شنها بعض قطاع الطرق واللصوص الصوماليون في الفترة التي سبقت الهجمات على داداب. ففي البداية قتل رجل بريطاني واختطفت زوجته من منتجع ساحلي قريب للحدود الصومالية، ثم تم اختطاف مسنة قعيدة فرنسية بالقرب من لامو وتم نقلها إلى الصومال، ثم قتلت بعد ذلك، وقد طلب خاطفوها فدية من أجل استرجاع جثمانها. والسياحة تعد أساسية للاقتصاد الكيني، ودخلت البلاد في ذروة الموسم السياحي هناك، ولا يعلم على وجه التحديد إذا كانت جماعة شباب المجاهدين الصومالية هي المسؤولة عن حالات الاختطاف تلك أم لا، ولكن السلطات الكينية قالت: إنهم كانوا بالفعل يخططون لغزو عسكري حتى قبل حدوث تلك العمليات، ولكن تلك العمليات ساعدت على معرفة الكينيين بمدى خطورة المشكلة الصومالية بالنسبة لهم، وأهمية اتخاذ خطوات من أجل مقاومة ذلك.

س: ما هي الأهداف العسكرية؟

ج: بالأساس السلطات الكينية تريد أن تبعد شباب المجاهدين عن أراضيها بأن تتدخل داخل حدودها، واختبرت بالفعل فرض منطقة عازلة داخل الأراضي الصومالية لمنع مثل تلك الهجمات، ففي وقت سابق هذا العام أيدت تشكيل منطقة ذات استقلال ذاتي أسمتها جوبالاند أو أزانيا، توفر الأموال والإمدادات لتلك المنطقة التي تشكلت في عجلة تحت قيادة وزير الدفاع الصومالي السابق. وتلك المبادرة لم تخرج إلى النور، لذلك فإن كينيا استلمت زمام المبادرة بدلاً من الاعتماد بصورة كبيرة على شركائها المحليين.

س: ما هو حدود التدخل الأمريكي في تلك العمليات؟

ج: إن وضعية كينيا كشريك أممي قديم مع الولايات المتحدة قد زادت من التوقعات بأن الولايات المتحدة تشارك في تلك العملية، ومن المؤكد أن كلا البلدين يشتركان في المصالح في هزيمة الشباب، وهي مصنفة كمجموعة إرهابية في الولايات المتحدة، ولكن يؤكد القادة العسكريون الأمريكيون أن قرار الزو الكيني للأراضي الصومالية كان خاصاً بكينيا وحدها، وقالوا: إنهم حتى لم يخطرأ قبل اتخاذ كينيا لتلك الخطوة العسكرية هناك، ولكنهم بالفعل عبروا عن دعمهم القوي لتلك العملية، وقد ترددت كينيا في إعلان أسماء الشركاء الدوليين الذين ساعدوا في تلك الهجمة العسكرية، فليس من المصادفة أن تكون القاعدة الجوية الأمريكية في إثيوبيا قد دخلت حيز العمل مؤخراً، فتلك القاعدة تعمل كمنصة إطلاق للطائرات المسيرة التي تقوم بعمليات الاستطلاع ومكافحة الإرهاب عبر القرن الإفريقي، ويقول البنتاجون: إن طائرات "ريبر" المسيرة غير مسلحة، ولكنها قادرة على أن يتم نشرها في العمليات الهجومية، وقد استخدمت بالفعل الصواريخ من الطائرات المسيرة لقتل زعماء القاعدة المشتبه بهم في الصومال.

س: ما هي المخاطر العسكرية بالنسبة لكينيا؟

ج: قد اجتاحت القوات الكينية الصومال في ظل موجة من الدعم الشعبي لتلك العملية، وكل الحديث حتى الآن عن مكاسب عسكرية كبيرة، ولكن يجب ألا يتم خداع كينيا: فتلك عملية عسكرية خطيرة، وسوف تزداد المخاطر كلما طال أمد العمليات. فكينيا لم توضح بجلاء أهدافها العسكرية، ولكن في المقابل أصدرت إعلاناً غامضاً عن تخليص الصومال من المتطرفين، وهو ما يزيد المخاوف من تورط طويل وفوضوي لتلك العملية. فتاريخ التدخلات العسكرية الخارجية في الصومال يجب أن يعطي كينيا وقفة للتفكير. فالصوماليون يبدو أنهم لا يوافقون على تلك العمليات، وهو ما قد يؤدي إلى توحيدهم لمعارضة التدخلات الخارجية في شئونهم الداخلية. فقد رأينا ذلك عام 2006 عندما غزت إثيوبيا الصومال للإطاحة باتحاد المحاكم الإسلامية، والتي كانت عبارة عن سلطة حاكمية توصلت إلى نجاحات معقولة في إحلال بعض النظام لمقديشو ولكن خطاباتهم المعادية لإثيوبيا أقلقّت أديس أبابا، فقد تحول الغزو إلى احتلال وحشي، مما أطلق موجة من المقاومة استمرت حتى اليوم، وقد انسحب الإثيوبيون بعد ذلك بعامين، وكينيا لا ترى بنفس مستوى العداء مثل إثيوبيا، التي تعد الخصم الألد والتقليدي للصومال. ولكن يجب على الكينيين أن يسيروا بحذر بالرغم من ذلك، فالخسائر المدنية من المتوقع أن تزيد من العداء الصومالي لكينيا، وقد وردت بالفعل تقارير من منظمة طبية دولية أن خمسة مدنيين في معسكر للمهجرين داخلها قتلوا في ضربة جوية على مدينة جيبيل. فالأخطاء مثل تلك سوف تشعل الرأي العام المحلي ضد كينيا.

كما أن كينيا أيضاً لديها تجمعات محلية مما يقرب من 2.4 مليون صوماليين كينيين يجب وضعهم في الاعتبار، معظمهم في نيروبي وعلى الساحل. وقد ارتفعت المخاوف من وجود طابور خامس داخل كينيا، فحركة الشباب لعبت على تلك المخاوف أيضاً، ووعدت بشن عمليات هجومية داخل كينيا، فقد كان هناك ثلاث هجمات بقنابل داخل كينيا في الأيام العشرة الماضية، وتم القبض على أحد الأشخاص الذين لهم علاقة باثنين من تلك الهجمات واعترف في المحكمة بتعاطفه مع حركة الشباب.

وهناك مشكلة أخرى لكينيا هو أن حلفاءها في جنوب الصومال لا يمكن الاعتماد عليهم، فبعضهم كان يقاتل إلى جوار حركة الشباب حتى وقت قصير قبل أن يغير مواقفه، كما أن هناك أيضاً مخاطر من أن تلك العمليات تحرك إثيوبيا هي الأخرى والتي لديها أيضاً عملاًؤها في جنوب الصومال، والجماعات العرقية التي من المتوقع أن تحظى بالاستفادة الأكبر من الغزو الكيني لجنوب الصومال هي قبيلة أوجادين، والتي قام أعضاؤها داخل إثيوبيا بمقاومة السلطات الحكومية الإثيوبية لفترة طويلة داخل أديس أبابا.

س: هل الشباب بدأت تلفظ أنفاسها؟

ج: سيكون من السابق لأوانه إعلان انتهاء حركة الشباب، ولكن الحركة بالقطع أصبحت أكثر ضعفاً عما كانت عليه في بداية هذا العام، فأولاً أي دعم شعبي كانت تحظى به تبخر الآن بسبب الطريقة التي عالجت بها الجفاف في المناطق التي تخضع لسيطرتها، وداخل حركة الشباب توجد انشقاقات بين المجاهدين الذين أتوا من بلاد أخرى وبين أولئك الذين لديهم أجندات أكثر محلية ووطنية، وهذا الصدد اتسع بسبب المجاعة، فقيادة الشباب الذين تأثرت مناطقهم بصورة كبيرة من الجفاف يريدون أن تدخل المساعدات الإنسانية الأجنبية في مناطقهم، ولكن عارضهم المتشددون من مناطق أخرى من البلاد.

فبالإضافة إلى ضعفها السياسي، فإن حركة الشباب تحت ضغط عسكري كبير، فمع التهديد الكيني فإنها محصورة أيضاً من الإثيوبيين على حدودها الغربية، بل إنها أجبرت على التراجع من العاصمة الصومالية مقديشو في أغسطس في أعقاب الهجوم الذي شنته قوات حفظ السلام التابعة للاتحاد الإفريقي البالغ عددها تسعة آلاف جندي (وصفت الانسحاب بأنه تكتيكي آنذاك)، ثم قامت بعد ذلك بالانتقام عن طريق شن سلسلة من التفجيرات الانتحارية.

وحتى الآن فإن حركة الشباب شهدت انتعاشة مالية مؤخراً، فقد استطاعت أن تجني الكثير من الأموال من الضرائب ومن عائدات الموانئ ومن تصدير الفحم، ولهذا السبب فسوف يكون من المثير أن نرى ما الذي سيجري إذا استطاعت القوات الكينية أن تؤمن المدينة الساحلية كيسمايو، والتي تعد من أهم معاقل حركة الشباب، فالسيطرة على ميناء كيسمايو يمثل مصدر عائدات مهم لحركة الشباب، وإذا ما فقدوه سوف يتعرضون إلى ضربة مالية كبرى.

لذلك فإنه لا يزال من المبكر التقليل من شأن حركة الشباب وقدراتها، فأولاً هناك مخاطر أن تؤدي العمليات العسكرية الكينية إلى نتائج عكسية بأن الغزو سوف يساعد في حشد الدعم وراء حركة الشباب في الوقت الذي بدأوا

فيه يظهر بمظهر الضعف، كما أن هناك علامة استفهام كبرى حول منافستها الإقليمية الكبرى وهي الحكومة الفيدرالية الانتقالية، والتي لم تظهر حتى الآن أية علامات أنها تستطيع الاستفادة من إخفاقات وضعف حركة الشباب، فالحكومة الانتقالية تحظى بالدعم الدولي ولكن معظم الشعب الصومالي يكرهها بسبب عجزها وفسادها وعدم قدرتها على توفير الخدمات العامة، فحتى إذا ما تم القضاء على حركة الشباب أو طردها من معاقها، فإن عجز الحكومة الفيدرالية يعني أن الناتج سوف يكون فراغاً في السلطة والانزلاق مرة ثانية إلى حقبة أمراء الحرب والصراعات فيما بينهم من جديد.

* ريتشارد داووني باحث ونائب مدير برنامج إفريقيا في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن

كاتب المقالة : ترجمة: مركز الشعلة للأبحاث والنشر والترجمة

تاريخ النشر : 22/11/2011

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com